أمن العراق في ظل وبعد طوفان الأقصى

أ.م. د. سامي احمد كلاوي
كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

م. م. سحر عبد السادة
كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

كغيره من بلدان المنطقة، تأثر العراق بطوفان الأقصى وما أعقبه من عدوان بربري شرس على قطّاع غزة. فبعد مضي بضعة أيام على العدوان أصبح العراق ساحة من ساحات المقاومة، تنطلق منها الصواريخ نحو أهداف أمريكية وصهيونية، وتتلقى صواريخ منطلقة من طائرات ومسيرات أمريكية. فكيف أثرت عملية طوفان الأقصى على أمن العراق الداخلي والإقليمي؟ وما هي التطورات المحتملة لهذه العملية؟ وما مدى تأثيرها في المعادلة الأمنية العراقية مستقبلا؟ وما السبيل للنأي بالعراق عن حرب شاملة في المنطقة؟

يفترض هذا البحث أن طوفان الأقصى وما بعده سيعيدان صياغة المعادلة الأمنية العراقية بما يبعده عن المحور الأمريكي-الغربي وحلفائه، ويقربه من المحور الروسي-الصيني وحلفائه. وما لم تصل حكومة السيد محمد شياع السوداني الى تفاهم واضح مع الفصائل العراقية المقاوِمة، سيكون العراق ساحة ساخنة لأية مواجهة عسكرية مفتوحة مع العدو الاسرائيلي المدعوم كلياً من قبل الولايات المتحدة الامريكية.

وللإجابة عن تلك التساؤلات ولإثبات أو نفي الفرضية المطروحة سيستعين البحث بنظرية "معضلة الأمن الاقليمي" التي طورتها مدرسة كوبنهاكن للدراسات الأمنية، والتي تُعرّف 'المعضلة الأمنية' بانها "مجموعة من الدول تتداخل مشاريعها وهواجسها الأمنية بشكل يجعل فهم أمن احداها بمعزل عن الأخرى أمرا في غاية الصعوبة". وتماهياً مع افتراضات تلك المدرسة، ينقسم البحث الى ثلاثة فصول رئيسة يتناول كل منها مستوىً تحليلياً للمعضلة. وهذه المستويات (1. المحلي، و2. الإقليمي، و3. الدولي) وإن تُبحث بشكل منفصل فهي تلتقي جميعا في نهاية المطاف لرسم صورة شاملة ودقيقة عما يحيق بالعراق من تهديدات أمنية في هذه المرحلة الصعبة من تاريخه.

ويتبنى البحث منهجاً استنباطيا يقوم على أساس اختبار الافتراضات المشتقة من النظرية إزاء الأحداث الدائرة على أرض الواقع بغية تأكيدها أو نفيها، والخروج بمحصلة تفي بهدف البحث.

المقدمة (Introduction)

لكثرة ما خاضه من حروب، وما فُرضت عليه من عقوبات دولية، أمسى العراق بلدا ضعيفا لا يستطيع الذود عن أمنه وأمن مواطنيه بدون مساعدة الآخرين. وفي عام 2008، وقّع العراق على اتفاقية أمنية ثنائية مع الولايات المتحدة الهدف منها درء المخاطر التي تهدد أمنه من خارج حدوده بعد انسحاب القوات الامريكية من أراضيه. ولكن ما كان يرجوه العراق من تلك الاتفاقية لم يتحقق. فلم تمض أربع سنوات على انسحاب الاميركيين حتى شنّ ما يُعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) هجوما على مدينة الموصل ثم صلاح الدين والانبار واحتل أكثر من ثلثي مساحة البلاد ليقيم عليها دولة 'الخلافة'. ولم يتمكن العراقيون من تحرير ما احتُل من بلادهم الاّ بعد أن قدموا الالاف من أبنائهم قرابين لذلك التحرير.

وبعد أقل من عشر سنوات على تنفيذ تلك الاتفاقية الأمنية، قام الاميركيون أنفسهم بانتهاك سيادة العراق بضربة جوية في محيط مطار بغداد الدولي أودت بحياة الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق 'القدس' الإيراني والقيادي في قوات الحشد الشعبي 'أبو مهدي المهندس'. وردّ العراقيون على الضربة الامريكية بقرار برلماني يقضي بإجلاء جميع القوات الأجنبية عن أرض العراق، الاّ أن القرار لم يتم تنفيذه حتى الآن. ولإجبار الأمريكيين على الانصياع لقرار الإجلاء، قامت بعض الفصائل الإسلامية المسلحة بشن هجمات على مواقع أمريكية في بغداد وغيرها من المدن العراقية.

وبعد نجاح قوى 'الإطار التنسيقي' بتشكيل حكومة توافقية في أعقاب انسحاب نوّاب التيار الصدري من مجلس النواب، سادت هدنة غير معلنة بين الفصائل والقوات الامريكية على أمل ان تنجح الحكومة الجديدة التي يقودها السيد محمد شياع السوداني بإخراج تلك القوات بشكل سلمي. ولم يمض عام واحد على تولي السيد السوداني لرئاسة الوزراء حتى قام العدوان الإسرائيلي على غزة إثر هجوم جريء شنّه مقاتلو حركة حماس الفلسطينية على مواقع للجيش الإسرائيلي ومستوطنات يهودية فيما يُعرف بـ 'غلاف غزة'. وكردّ على الانحياز الأمريكي المطلق الى جانب العدوان الإسرائيلي، قامت بعض الفصائل العراقية المسلحة بشن هجمات على مواقع أمريكية داخل الأراضي العراقية وخارجها. وردت القوات الامريكية بضربات جوية استهدفت قياديين في تلك الفصائل فأودت بحياة بعضهم، الأمر الذي أدى الى قيام مجلس النواب العراقي بتأكيد قرار الاجلاء الذي اتخذه في أعقاب اغتيال الجنرال سلماني والمهندس.

ولم تقتصر هجمات الفصائل العراقية على مواقع أمريكية وحسب، بل تعدتها الى مواقع إسرائيلية أيضا وهذا ما يُنذر بتطورات خطيرة في حال استمرار العدوان الإسرائيلي على غزة واستمرار الانحياز الأمريكي لذلك العدوان وما يعقبه من استمرار الرد من جانب الفصائل العراقية.

إشكالية البحث: (Problem Formulation)

مع استمرار الحرب على غزة، ومع استمرار الدعم الأمريكي المطلق، ومماطلة الإدارة الامريكية في سحب ما تبقى من قواتها في العراق تلوح في الأفق تطورات لا تدعو الى التفاؤل. ويسعى هذا البحث الى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما هي الاخطار التي تحيق بالأمن القومي للعراق؟

وما هي القوى الإقليمية والدولية التي ستقف مع العراق أو ضده في حال أصبح العراق ساحة مفتوحة من ساحات مقاومة العدوان الإسرائيلي؟

وما الذي تستطيع حكومة السيد السوداني فعله للنأي بالعراق عن حرب إقليمية جديدة؟

فرضية البحث (Research Hypothesis)

في ضوء ما يجري في غزة وساحات المقاومة الأخرى يفترض هذا البحث أن حكومة السيد محمد شياع السوداني ستنجح في الوصول الى اتفاق مع الولايات المتحدة يقضي بسحب قواتها من أرض العراق. كما يفترض أن يتجه العراق نحو المحور الروسي-الصيني دون أن يقطع صلاته بالمحور الأمريكي-الغربي.

منهجية البحث (Methodology)

يستند هذا البحث في تناوله لمعضلة العراق الأمنية، بشكل أساس، الى نظرية المعضلة الأمنية الإقليمية (Regional Security Complex Theory) التي طورتها مدرسة كوبنهاكن للدراسات الأمنية. وبذلك يُعد بحثا نوعيا (Qualitative Research) يتعامل مع النصوص، بخلاف البحوث الكمية (Quantitative Research) التي تتعامل مع الأرقام والاحصائيات. وتمتاز البحوث النوعية كذلك بمنح الباحث حرية كبيرة في اختيار ما يراه مناسبا لبلوغ هدفه على ان لا يكون ذلك على حساب موضوعية وحياد البحث. وللوصول الى مبتغاه يطرح البحث فرضية محورية تتفرع منها فرضيات ثانوية حول مفاصل المشكلة. ويتم اختبار تلك الفرضيات في ضوء معطيات عملية موثّقة بمصادر رصينة ومحايدة. فما يتم نفيه من فرضيات يُستبعد، وما يتم اثباته يُصاغ بشكل يمكنه من الإجابة عن الأسئلة المطروحة في إشكالية البحث.

وتماشيا مع النظرية ينقسم البحث الى ثلاثة فصول أساسية يتناول كل منها مستوى من مستويات التحليل الثلاثة (المحلي، والإقليمي، والدولي). ثم ينتهي بخلاصة تجمع بين المستويات لتشكل إجابة شاملة ودقيقة عن أسئلة البحث.

ويجدر التنويه الى أن استخدام البحث لمصطلحات مثل 'شيعة' و 'سنة' وغيرها يعني البعد الديموغرافي للمصطلح وليس البعد المذهبي. فلا يُعنى البحث بمعتقدات الشيعة أو السنة بل بالمواقف السياسية التي تتبناها القوى التي تمثلها أو تدعي تمثيلها.

الإطار المفاهيمي والنظري (Conceptual and Theoretical Framework)

مثل العديد من المفاهيم الأخرى في مجال العلوم السياسية والاجتماعية، كان مفهوم الأمن موضوع خلاف بين الأكاديميين العاملين في هذا المجال. وقد تركز الخلاف تقريباً على طبيعة القضايا التي ينبغي أو لا ينبغي عدُّها أهدافاً أمنية. وبناء على ذلك، انقسم الباحثون في حقل الدراسات الأمنية إلى فريقين رئيسيين: ضيق وواسع. فبينما يرى الفريق الأول، الذي ينتمي أغلب افراده الى المدرسة الواقعية، أن مفهوم الأمن يجب أن يقتصر على القضايا المتعلقة ببقاء واستمرار الدولة ككيان سياسي، يرى الفريق الثاني أن المفهوم يجب أن يتسع ليشمل قضايا أخرى، مثل الشؤون الاقتصادية والأمنية والعسكرية بالإضافة الى التهديدات المجتمعية والبيئية التي تهم البشرية جمعاء. ويُعد باري بوزان (Barry Buzan)، أستاذ العلاقات الدولية الفخري في كلية لندن للاقتصاد والأستاذ الفخري في جامعة كوبنهاجن، أول باحث قام بمحاولة جادة لتوسيع مفهوم الأمن. ففي عام 1983 أصدر كتابه "الناس والدول والخوف: أجندة لدراسة الأمن العالمي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"

"People, States, and Fear: An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War Era".

وتمت مراجعة الكتاب في عام 1991 وأصبح الحجر الأساس لمفهوم الأمن الواسع. ويرى بوزان أن استخدام المفهوم الضيق للأمن كان نتاجاً للتنافس بين المعسكرين المتناحرين بقيادة القوتين العظمتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) إبان الحرب الباردة التي استمرت لنحو خمسة عقود. ولان ظروف الحرب الباردة جعلت البقاء وتعظيم القوة هدفين رئيسين لكل دولة من دول العالم، اقتصر مفهوم الأمن على البعدين العسكري والسياسي. وهذا التقييد، وفقا لبوزان، يتجاهل العديد من التهديدات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الخطيرة التي تواجه الدول والمجتمعات في جميع أنحاء العالم.

ورداً على هذه التهديدات، صاغ بوزان مفهوما أمنيًا متعدد الأبعاد يشمل جميع القضايا التي تهدد الإنسانية. فعلى عكس الواقعيين، يرى بوزان أن أمن الجماعات البشرية يتأثر بعوامل في خمس قطاعات رئيسة: عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية. فالأمن العسكري، وفقا لبوزان، يتعلق بالتفاعل على مستويين هما القدرات الهجومية والدفاعية المسلحة

للدول، وتصورات الدولة لنوايا بعضها البعض. ويتعلق الأمن السياسي بالاستقرار التنظيمي للدول وأنظمة الحكم والأيديولوجيات التي تمنحها الشرعية. ويتعلق الأمن الاقتصادي بالوصول إلى الموارد والتمويل والأسواق اللازمة للحفاظ على مستويات مقبولة من الرفاهية وسلطة الدولة. ويتعلق الأمن المجتمعي باستدامة الأنماط التقليدية للغة والثقافة والهوية والعادات الدينية والوطنية، في ظل ظروف مقبولة للتطور. أما الأمن البيئي فيتعلق بالحفاظ على المحيط الحيوي المحلي والعالمي باعتباره نظام الدعم الأساس الذي تعتمد عليه جميع المشاريع البشرية الأخرى. وهذه القطاعات الخمسة لا تعمل بمعزل عن بعضها البعض، بل هي متداخله في شبكة قوية من الروابط.(Buzan, 1991: 19-20)

ولم يختلف بوزان مع الواقعيين في تطوير مفهوم الأمن وحسب بل وكذلك في مستويات التحليل الأمني. فبينما تعتمد المدرسة الواقعية مستويان للتحليل الأمني هما 1. مستوى الدولة(State) و2. مستوى النظام العالمي(International System)، يتبنى بوزان أو مدرسة كوبنهاكن للدراسات الأمنية (Copenhagen School of Security Studies) مستوىً ثالثاً يتوسط الاثنين هو المستوى الإقليمي(Regional level). فوفقا لهذه المدرسة، لا يتأثر أمن الدول بطبيعة النظام العالمي وحسب بل وبالوسط الإقليمي الذي تتواجد فيه. ويبرر بوزان تبنيه لهذا المستوى باعتقاده أن معظم التهديدات الأمنية تنتقل بسهولة عبر مسافات قصيرة مقارنة بالمسافات الطويلة، وإن الترابط الأمني عادةً ما يتم تصميمه في هياكل أمنية إقليمية. (Buzan and Weaver, 2003: 4)

وبناءً على هذا المستوى من التحليل الأمني، طور بوزان نظرية معضلة الأمن الإقليمي (Regional Security Complex Theory) (RSCT). ويُعرّف بوزان هذه المعضلة الأمنية بانها: "مجموعة من الدول تتداخل وتترابط اهتماماتها الأمنية الأساسية ببعضها البعض بشكل يجعل من العسير جدا فهم أمن احداها بمعزل عن فهم أمن باقي دول المجموعة(Buzan, 1991: 190). وبعد بضع سنوات، عرّف باري بوزان، وأولي ويفر، وجاب دي وايلد (1998: 201) المعضلة الأمنية الاقليمية بأنها: "مجموعة من الوحدات المتداخلة امنيا بشكل لا يسمح بحل مشكلة احداها أو بعضها بمعزل عن البقية".

إن استبدال كلمة 'دول' بكلمة 'وحدات' في التعريف الجديد يؤكد أن بوزان وزميليه في مدرسة كوبنهاكن قد أدركوا أن الجهات الفاعلة الأخرى إلى جانب الدول يمكن أن يكون لها أدوار مهمة في تشكيل المعضلات الأمنية الاقليمية. ويمكن أن تكون هذه الجهات الفاعلة مجموعات عرقية، شركات تجارية كبيرة، منظمات مدافعة عن البيئة، وما إلى ذلك.

وترى مدرسة كوبنهاكن أن هناك متغيران مسؤولان عن ديناميكية المضلة الأمنية وهما 1. توازن القوى بين وحدات المعضلة، و2. أنماط الصداقة والعداء التأريخية بين تلك الوحدات.(Buzan & Weaver, 2003: 47-48) وبالتالي، فإن أقوى الدول الإقليمية هي الجهات الأكثر تأثيراً في ديناميكية المعضلة الأمنية الإقليمية. وفي الوقت نفسه، يؤثر إرث الحروب والصراعات والأعمال العدائية على العلاقات الأمنية بين وحدات المعضلة. وتحدد النظرية ثلاثة مستويات رئيسة لتحليل المعضلات الأمنية الإقليمية: 1) المستوى الداخلي: ويدرس الاستقرار والنظام الداخلي لكل دولة من دول المنطقة. 2) مستوى العلاقات بين دول ووحدات المعضلة، و3) المستوى العالمي الذي يعني بدراسة دور القوى العالمية في المنطقة، أي التفاعل بين المعضلة الأمنية الإقليمية والنظام العالمي.(Buzan & Weaver 2003, 51) وتماشيا مع هذه النظرية سيتم تناول التهديدات الأمنية التي تحيق بالعراق في ظل وبعد 'طوفان الأقصى' على ثلاثة مستويات: داخلي، واقليمي، وعالمي.

1. المستوى الداخلي (Domestic Level)

بعد سقوط نظام الحزب الواحد في نيسان من عام 2003 على أيدي التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة، عمد الاميركيون الى تأسيس نظام سياسي يقوم على أساس المحاصصة الاثنية. ونظام كهذا نصح به عالم الاجتماع السياسي الهولندي أرند ليبهارت(Arend Lijphart)، ويُعد نموذجا لإدارة المجتمعات المتنوعة اثنيا وذلك عن طريق تقاسم السلطة بين المكونات الإثنية الكبرى في المجتمع (Bealey, 1999: 83). ويرى ليبهارت ان ما يسميه هو 'الديمقراطية التوافقية' تكون مصاحبة للمحاصصة الاثنية من أجل حماية حقوق الأقليات الإثنية وفرض التوافق على المستوى السياسي (Lijphart, 1977: 38-43). ولكنها تسببت بتعطيل أو تأخير الكثير من مشاريع القوانين التي تمس بشكل مباشر وقوي حياة المواطنين كقانون النفط والغاز وقانون الأحزاب وقانون المجلس الاتحادي وقانون جهاز الأمن الوطني وغيرها. كما أن 42 مادة أو ما يعادل 30% من مواد الدستور ما تزال معطلة.[1] ومرد هذا هو أن الكتل والأحزاب السياسية التي تتقاسم السلطة تسعى بالدرجة الأولى الى خدمة المكونات الاثنية التي تنتمي اليها. وهذا هو حال الوزراء الذين يشكلون الحكومة. فكل وزير يسعى بالدرجة الأولى الى إرضاء الكتلة أو الحزب الذي رشحه لهذا المنصب الرفيع. وفي المحصلة لا يرتقي مجلس الوزراء الى أداء الفريق الواحد المنسجم كما ينبغي له ان

(1) موقع مجلس النواب العراقي https://iq.parliament.iq

يكون. ولعل من أعقد ما تسببت به المحاصصة والديمقراطية التوافقية هو الانقسام الشديد بين القوى السياسية العراقية حول التواجد الأجنبي العسكري والأمني على أرض العراق. فلكل كتلة حليفها أو صديقها الخارجي الذي تستعين به إن ألمّ بها شيٌ ما في الداخل.

وبرز هذا الانقسام بشكل جلي في أعقاب اغتيال الجنرال قاسم سليماني وأبي مهدي المهندس في محيط مطار بغداد الدولي في مطلع كانون الثاني من عام 2020 بضربة جوية نفذتها مسيرات أميركية. فبينما أعربت القوى الشيعية عن بالغ سخطها لهذا الخرق الكبير لسيادة العراق، ونظمت تظاهرة مليونيه في بغداد، وتوعدت الاميركيين بالثأر، اكتفت باقي القوى ببيانات رقيقة اللهجة. فقد اكتفى رئيس الجمهورية السابق والقيادي في الاتحاد الوطني الكردستاني السيد برهم صالح بالدعوة الى ضبط النفس، ودعا السيد محمد الحلبوسي، رئيس مجلس النواب السابق وزعيم حزب تقدم الذي يُعد أكبر القوى السنيّة، الى عدم جعل العراق ساحة لصراعات إقليمية ودولية.

وكرد فوري على ما فعلته إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، استخدمت القوى الشيعية نفوذها النيابي فدعت الى جلسة برلمانية طارئة للتصويت على مشروع قرار ينص على سحب الحكومة للدعوة التي وجهتها الى الولايات المتحدة للمشاركة العسكرية في القتال ضد ما يُعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وكذلك إجلاء القوات الامريكية من العراق. ورغم ان القوى الشيعية عدّلت من صيغة المشروع ليكون اخراج القوات 'الأجنبية' عوضا عن 'الامريكية' لتضمن دعم كل القوى الأخرى المشاركة في العملية السياسية، لم تأت النتائج كما أراد أعداء الولايات المتحدة في العراق. فقد تمت مقاطعة جلسة التصويت من قبل أغلب النوّاب السنة والنواب الكورد.[1]

هذا الانقسام حول الوجود العسكري الأمريكي على الأرض العراقية لم يكن وليد لحظة اغتيال سليماني وأبي مهدي المهندس، بل منذ بداية العملية السياسية التي أعقبت سقوط النظام. فكلا الطرفين (الكورد والعرب السنة) يرون في تواجد القوات الامريكية في العراق رادعا للقوى الشيعية من الاستئثار بالسلطة، ولإيران من زيادة نفوذها العسكري والأمني في العراق. وقد أعرب عن هذا الموقف القيادي السني الدكتور ظافر العاني بقوله: " إن مسار الأحداث يوحي بأن إخراج القوات الأمريكية يأتي لصالح تمكين إيران من المزيد من التغلغل في النسيج السياسي العراقي وإن إخراج الأمريكيين سيجعل الإرهاب والفصائل المدعومة من إيران تتصرف بحرية أكبر مما يسبب زعزعة الوضع الأمني الهش ليس في العراق فقط وإنما في الشرق الأوسط برمته".[2] وعن الموقف الكردي، صرح السيد نيجيرفان بارزاني رئيس وزراء إقليم كوردستان: "أنَّ مهمة الأمريكيين واضحة، وهي مساعدة العراقيين في محاربة داعش، أمَّا الأمور الأخرى فيجب أنْ نحلّها كعراقيين. يجب أنْ يكون حصر السلاح ضمن إطار مؤسسات الدولة ولا يمكن أَنْ يُقرِّر كل من جانبه توجيه الطائرات المسيرة باتجاه أربيل ويطلق الصواريخ على بلد، ويقصف الأماكن الأخرى. علينا أنْ نَجِدَ حلًا إذا كانت هناك إرادة في بغداد".[3]

وأدت الانقسامات إزاء التواجد العسكري الأمريكي على الأرض العراقية الى إرباك كبير لحكومة السيد مصطفى الكاظمي الذي أُنتخب لرئاسة الوزراء في عام 2020. فقد قامت بعض الفصائل الشيعية المسلحة بمهاجمة أهداف أميركية في العراق لإرغام الولايات المتحدة على الانسحاب. وبذا وضعت حكومة الكاظمي في موقف حرج. فمن جهة، لم تكن له القدرة على مواجهة تلك الفصائل، ومن جهة أخرى كان يعمل على التقرب من الادارة الأميركية، فتعذر عليه التوفيق بين إرضاء الفصائل لتجنب سطوتها وإرضاء الاميركيين للظفر بدعمهم لسياساته واعادة انتخابه.

وبعد انسحاب نواب 'التيار الصدري' من مجلس النوّاب تمكن 'الإطار التنسيقي'، التحالف الذي يضم باقي القوى الشيعية وأبرزها 'دولة القانون'، من تشكيل حكومة توافقية بمشاركة الكرد والعرب السنة، وبرئاسة السيد محمد شياع السوداني. ولم يتوجه السيد السوداني الى المجابهة مع الولايات المتحدة، كما توقع الكثير من المراقبين، بل على العكس من ذلك حاول التقرب منها وإقناع الفصائل المسلحة بوقف هجماتها على المواقع الامريكية في العراق. ولم يمض على تلك الهدنة سوى عام واحد حتى شنت 'اسرائيل' عدوانها على غزة فعادت الفصائل الى سلاحها وانتهت الهدنة. فما هي الدوافع وراء العودة الى السلاح؟

---

(1) الجزيرة نت، 2020/1/5. https://www.aljazeera.net/politics/2020/1/5

(2) IranWire, 17/1/2020. https://iranwire.com/ar/reports/81526/

(3) Kurdistan24, 3/5/2021. https://www.kurdistan24.net/ar/opinion

من الصعب الحديث عن دافع للتصعيد الأخير بين الفصائل العراقية الشيعية المسلحة والولايات المتحدة غير الدافع الأيديولوجي. فجميع تلك الفصائل ترى في 'اسرائيل' كيانا غاصبا لأرض إسلامية وقامعا لشعب مسلم. وتضم تلك الأرض المغتصبة المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، والمكان الذي عرج منه الرسول الاكرم الى السماء. وعليه فان الجهاد ضد هذا العدو هو فرض عين على كل مسلم. فعلى سبيل المثال، أفتى اية الله محمد حسين آل كاشف الغطاء في سنة 1938 بالجهاد لتحرير فلسطين. وجاء في فتواه تلك: "يا أيها العرب ويا أيها المسلمون بل يا أيها البشر ويا أيها الناس، أصبح الجهاد واجباً على كل انسان، ومن يستطيع اللحاق بمجاهدي فلسطين بنفسه فليلتحق بهم، واني ضمين أنه كالمجاهدين مع النبيّ في بدر" (كاشف الغطاء 1969: 15). وفي عام 1979 حدد آية الله الخميني آخر يوم جمعة من شهر رمضان لكل عام يوما أسماه 'يوم القدس' للتضامن مع المستضعفين في الأرض وخصوصا الفلسطينيين. ودعا اية الله الخميني كل مسلمي العالم للخروج في يوم القدس الى الشوارع والهتاف: 'الموت لأمريكا والموت لإسرائيل'.[1] وعليه فلا غرابة أن تشهر هذه الفصائل الشيعية أسلحتها بوجه العدو الصهيوني والولايات المتحدة حليفته وأكبر داعميه بالمال والسلاح، وان تحقق إصابات مباشرة في قواعد عسكرية أمريكية أبرزها تلك التي أسفرت عن مقتل ثلاثة جنود في هجوم صاروخي على قاعدة في شمال الأردن أواخر كانون الثاني 2024.[2]

ولم تلتزم الولايات المتحدة الصمت أمام تلك الهجمات بل قامت هي الأخرى باغتيال عدد من قياديي وكوادر بعض الفصائل الشيعية المسلحة. ومرة أخرى تجد الحكومة العراقية نفسها في موقف حرج. فليس من السهل أبدا أن يدين السيد السوداني العدوان الاسرائيلي على غزة وأن يدين الهجمات على أهداف صهيونية وأمريكية في وقت واحد.

ومن العسير التنبؤ بما ستؤول اليه الأوضاع إن لم تستجب القوات الامريكية لطلب الحكومة العراقية وترحل بعيدا عن العراق. ومن العسير أيضا التنبؤ بمدى الردود الاسرائيلية إن استمرت الفصائل في محاولاتها لإصابة أهداف داخل 'إسرائيل'. كما وانه من العسير أيضا التنبؤ بمدى قدرة السيد السوداني على درء مواجهات عسكرية مفتوحة على أرض العراق.

2. المستوى الإقليمي (Regional Level)

ترى مدرسة كوبنهاكن أن عاملين رئيسين يلعبان الدور الأكبر في تحديد شدة المعضلة الإقليمية ومسارات تطورها، وهما 1) توازن القوى بين أطراف المعضلة و2) نماذج أو أنماط الصداقة والعداء بينها. وعلى الرغم من الترابط الوثيق بين هذين العاملين يكون من الأفضل لدقة البحث وشموليته تناولهما بشكل منفصل وهذا ما سيتم فعله في هذا الفصل.

2.1 توازن القوى (Balance of Power)

تذهب المدرسة الواقعية بشقيها القديم والجديد الى أن الطبيعة الفوضوية للنظام السياسي العالمي تفرض على الدول أن تحمي نفسها ضد التهديدات الخارجية. فقد ذهب مؤسس الواقعية الجديدة، كينيث والتز (Kenneth Waltz)، على سبيل المثال الى ان الدول، حين تتعرض لأخطار خارجية تكون أمام خيارين لا ثالث لهما: الموازنة (Balancing) أو الاصطفاف (Bandwagoning) (Waltz, 1979: 125). ويُعرف البروفيسور ستيفان والت (Stephen Walt) الموازنة بانها سياسة التحالف مع الآخرين ضد مصدر التهديد. أما الاصطفاف فهو سياسة التحالف مع القوة العظمى الأكبر خطورة (Walt, 1987: 32). وبينما تعتمد القوى الكبيرة على قواها الذاتية للدفاع عن وجودها وحماية مصالحها، تعتمد الدول الصغيرة على سياسة التحالف مع الأقوياء لزيادة قوتها ودرء الاخطار عنها. وهناك من الدول من تلجأ الى السياستين في آن واحد كـ 'إسرائيل'.

لقد قامت الدولة العبرية في فلسطين بمساعدة مطلقة من الدول الاستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا حينذاك. ولكون جميع الدول المحيطة بها هي دول عربية ويشكل المسلمون الغالبية العظمى من سكانها، كان عليها ان تحسب ألف حساب للتهديدات التي ستتعرض لها مستقبلا من قبل جيرانها العرب واشقائهم. وعليه، رأى مؤسسو الكيان الصهيوني انه لا بد من التحالف مع دولة أو دول عظمى تستطيع حماية كيانهم من أعداء كثر، وكذلك القيام ببناء قوة عسكرية تتفوق على ما يمتلكه العرب فتكون رادعا لهم عن القيام بحرب لتحرير

(1) موقع شبكة المعارف الإسلامية. https://www.almaaref.org/maarefdetails.php?id=3291

(2) BBC News Arabic. 29/1/2024. https://www.bbc.com/arabic/live/68086170

فلسطين من قبضتهم. فتحالفت 'إسرائيل' مع بريطانيا وفرنسا عند التأسيس ومع الولايات المتحدة بعد أن أفل نجم البريطانيين في اعقاب الحرب العالمية الثانية التي كلفتهم خسائر باهظة رغم انتصارهم فيها.

وعلى الصعيد الداخلي، لجأ 'إسرائيل' الى بناء ترسانة أسلحة متطورة لا يمتلكها جيرانهم. وقامت ببناء عدة مفاعلات نووية أشهرها مفاعل ديمونة، وتمكنت من تصنيع أسلحة نووية وإن لم تعترف حتى اليوم بامتلاكها لهذا النوع من الأسلحة، ولكن الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر صرح في عام 2014 ان 'إسرائيل' تمتلك ما يتراوح بين 150-300 رأس حربي نووي.[1] وبذا تتفوق 'إسرائيل' على كل الدول العربية بأسلحة الردع النووي التي تمتلكها. وكذلك يتفوق الصهاينة بما يمتلكون من 'قوة كامنة' و 'قوة تحطيم'. ففي حين تعني الأولى مقدار ما تمتلكه الدولة موارد بشرية ومادية بالإضافة الى الإرادة القومية، تعني الثانية القدرة العسكرية، ويميل ميزان كلا القوتين لصالح 'إسرائيل' (منصور و نحاس، 2009: 252).

وبمقارنة القوة العسكرية الإسرائيلية بقوة العراق العسكرية فان الميزان يميل بلا أدني شك لصالح 'إسرائيل'. فوفقا لمؤسسة 'Global Firepower' يأتي الجيش العراقي بالمرتبة 45 على المستوى العالمي بينما تأتي إسرائيل في المرتبة 17.[2] ومع الاخذ بالاعتبار عدم وجود حدود برية بين العراق و 'إسرائيل'، فان اية مواجهة عسكرية بين الطرفين ستكون باستخدام القوة الصاروخية والقاذفات والمقاتلات الجوية التي تتفوق فيها 'إسرائيل' بشكل كبير. وهذا يعني ببساطة هزيمة الجيش العراقي ما لم تتدخل قوة إقليمية أو عالمية صديقة لنصرته. ولا يبدو أن هناك قوة إقليمية مستعدة للوقوف بجانب العراق في حال تعرضه لهجوم إسرائيلي. فإيران التي تُعد من أقرب أصدقائه الإقليميين طالما أعربت عن رغبتها في عدم توسيع دائرة الحرب في فلسطين المحتلة. وعلى الصعيد الدولي، لن تقف الولايات المتحدة بجانب العراق إن تعرض لهجوم إسرائيلي رغم الاتفاقية الاستراتيجية التي تربط البلدين منذ عام 2008 والتي تُلزم الاميركيين بالدفاع عن العراق في حال تعرضه لخطر خارجي، ولكن من الواضح جدا ان الموقف الأمريكي في حال كهذا سيكون بجانب 'إسرائيل' لعمق وقدم التحالف الإستراتيجي بين الطرفين. ولهذا السبب ستتجنب إيران التورط بنصرة العراق كي لا تدخل في مواجهة عسكرية مجهولة العواقب مع الولايات المتحدة. وأمام هذه الحقائق المُرة يكون أفضل خيار للحكومة العراقية في الوقت الراهن هو المضي في مفاوضات انهاء الوجود العسكري لقوات التحالف الدولي في العراق بأسرع وقت ممكن، وهذا بحد ذاته يمثل انتصاراً كبيرا للعراق الذي يطمح لبسط سيادته على كافة أراضيه ومياهه واجوائه.

وحتى لحظة كتابة هذا البحث تبدو العلاقة بين حكومة السيد السوداني والفصائل الشيعية المسلحة علاقة ودية رغم معارضة الحكومة لاستهداف المواقع الأميركية لما يمثله هذا الاستهداف من عرقلة لمساعي اجلاء قوات التحالف عن أرض العراق. الا ان الساحة اللبنانية، على خلاف الساحة العراقية، تبدو حبلى بالمفاجئات. فالاشتباكات العسكرية على الحدود اللبنانية الفلسطينية مستمرة وتتصاعد يوما بعد آخر رغم حرص الطرفين على عدم الوصول الى حالة الحرب الشاملة في الوقت الحاضر، ولكن التمسك بقواعد الاشتباك غالبا ما يكون أمرا في غاية الصعوبة. فأي خرق كبير يقوم به أحد الطرفين ضد الاخر قد يفتح الباب على مصراعيه أمام مواجهة مفتوحة لا تترك خياراً لحلفاء حزب الله في العراق واليمن سوى تصعيد هجماتهم الى أقصى حد، وبذا قد يكون العراق ساحة مواجهة لا أحد الان يستطيع التنبؤ بمجرياتها ونتائجها. كما لا أحد يستطيع التنبؤ بمدى التهديدات التي يتعرض لها الأمن القومي العراقي على المستوى الإقليمي حتى في حال توقف العدوان الإسرائيلي على غزة. فتوقف العدوان لا يعني توقف العداء.

2.2 العداء الإسلامي - الصهيوني (Islamic-Zionist Hatred)

للمسلمين واليهود تاريخ طويل من الصراع والعداء يمتد الى فجر الإسلام. فمعارك الرسول ضد قبائل اليهود التي تآمرت على الدعوة الإسلامية كغزوة بني النظير وبني قينقاع وبني قريظة واجلائهم عن المدينة تشكل جزءً مهما من السيرة النبوية. وقد أكد القرآن الكريم هذه العداوة في الآية 120 من سورة البقرة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، والآية 82 من سورة المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾. ثم اشتد العداء بين الطرفين حتى بلغ ذروته بقيام دولة 'اسرائيل' على أرض فلسطين التي تضم المسجد الأقصى الذي يُعد واحدا من أقدس الأماكن لدى المسلمين. فلم يُكتب لقيام تلك الدولة النجاح الا بعد صراع ومجازر دموية راح ضحيتها المئات من الفلسطينيين وتهجر الالاف منهم.

---

(1) الجزيرة نت، 11/11/2023. https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2023/11/11

(2) Global Firepower, 2024. https://www.globalfirepower.com/countries-listing.php

وخاض الكيان الصهيوني حروبا ضد الفلسطينيين واشقائهم العرب في الأعوام 1948، 1956، 1967، و1982، ويشن الآن حربا على قطاع غزة. وحري بهذا التاريخ الدموي الطويل وهذه الحروب الكثيرة أن ترفع من وتيرة الضغينة والكراهية بين الطرفين الى الحد الذي يجعل من الحرب بينهما حرب وجود وليس حرب حدود. وقد أكدت هذه الحقيقة العديد من التصريحات التي أدلى بها قادة سياسيون ودينيون من كلا الجانبين. فقد صرح السيد حسين الموسوي أحد قادة حزب الله اللبناني، على سبيل المثال، بأنهم لا يقاتلون من أجل أن ينالوا اعتراف العدو الصهيوني بل من أجل إزالة هذا العدو من الوجود. وصرح الشيخ احمد ياسين مؤسس حركة 'حماس': "ستة ملايين قرد (يهود) يقودون دول العالم. اللهم اقتلهم جميعا ولا تبقي منهم أحدا" (Hoffman, 1998: 96-98). وبالمقابل نجد تصريحات مماثلة بل واشد تطرفا من قبل سياسيين ورجال دين يهود. ففي لقاء مع طلبة جامعة لوس انجلوس في عام 1988 وصف كاهانه، زعيم حركة كاخ الصهيونية، العرب بالكلاب وقال انهم يتكاثرون كالبراغيث، ولذا يجب إبعادهم عن 'إسرائيل' أو ابادتهم (Hoffman, 1998: 101). وقبل بضعة أشهر قال وزير التراث الإسرائيلي 'عميحاي الياهو' أن قصف غزة بقنبلة نووية هو أحد الخيارات المطروحة أما القادة الإسرائيليين.[1] وما تصنعه 'إسرائيل' اليوم من محاولات لإبعاد فلسطينيي غزة الى مصر أو سوريا أو غيرهما من دول العالم، أو ابادتهم في حال رفضوا ذلك، تتماشى تماما مع معتقدات الغالبية العظمى من القادة الصهاينة. وهذا يشير بشكل قاطع الى ان حرب الوجود بين العرب والمسلمين من جهة ودولة الاحتلال الإسرائيلية من جهة أخرى هي حرب وجود مستمرة ولا تنتهي باي شكل من اشكال التسويات السلمية. وهذه الحرب لن تقتصر على فلسطين وحدها بل ستمتد الى المنطقة بأسرها. ومن غير المنطقي الاستنتاج بان العراق سيكون بمعزل عن حرب إسلامية- صهيونية شاملة وفيه الكثير من الفصائل المسلحة التي تعد الجهاد ضد الاحتلال الصهيوني فرض عين لا يمكن التغاضي عنه. وبذا ستطال الأمن القومي العراقي تهديدات الحرب في ظل الأقصى وبعده.

3. المستوى العالمي (The Global Level)

كما يرى الواقعيون الجدد، ترى مدرسة كوبنهاكن أن النظام السياسي العالمي له دور حاسم في قيام وتعقيد أو انهاء المعضلات الأمنية. ففي عالم فوضوي يفتقد لسلطة مركزية قوية تنظم العلاقات بين مكوناته، تلعب سياسات التوازن والاصطفاف بين القوى الإقليمية من جهة والقوى العالمية من جهة أخرى دورا محوريا في تحديد مسارات الصراع على المستوى الإقليمي. والمعضلة الأمنية في الشرق الاوسط، وبشكل خاص القضية الفلسطينية، لا تمثّل استثناءً عن هذه القاعدة بل تأكيدا لها. ولكون التباين الكبير في مواقف القوى العالمية من المعضلة الأمنية بين دولة 'إسرائيل' من جهة والدول العربية والإسلامية والفواعل المرتبطة بها من جهة أخرى، سيتم تناول مواقف القوتين العظمتين (الولايات المتحدة وروسيا) من 'طوفان الأقصى' وتأثيرها على الأمن القومي العراقي بشكل منفصل من أجل تشكيل صورة دقيقة وواضحة لتلك المؤثرات.

3.1 الولايات المتحدة (The United States)

منذ الانسحاب البريطاني الفرنسي من الشرق الأوسط في نهاية الخمسينيات على إثر فشل القوتين العظمتين في عدوانهما على مصر عام 1956، حلّت الولايات المتحدة الامريكية محلهما كأكبر قوة عظمى داعمة لـ 'إسرائيل' سياسيا وعسكريا واقتصاديا واعلاميا. فلم تتخل عنها في أي موقف، ولن تبخل عليها باي شكل من اشكال المساعدة. فمنذ تأسيس مجلس الأمن الدولي في عام 1945 وحتى نهاية العام الماضي (2023)، استخدمت الولايات المتحدة حق النقض الفيتو 114 مرة، 80 مرة منها لمنع إدانة 'إسرائيل' و34 مرة لعدم تمرير قرارات تساند القضية الفلسطينية.[2] وهذا لا يدع أدني مجال للشك في أن لا أحد في هذا العالم يقترب من مكانة 'إسرائيل' لدى الولايات المتحدة.

ويذهب الأكاديميان الأميركيان جون ميرشايمر (John Mearshiemer) وستيفان والت (Stephen Walt) الى أن الولايات المتحدة تبرر دعمها المطلق لـ 'إسرائيل' بثلاثة حجج لا ترقى أي منها الى الحقيقة، أو تقترب منها. فمرة تدعي انها تدعم 'إسرائيل' بسبب نظامها الديمقراطي، وتنسى أن هناك العشرات من الأنظمة الديمقراطية في العالم والتي لم تحصل على 1% من الدعم التي حصلت عليه 'إسرائيل' منها. بل أنها حاكت الكثير من المؤامرات لإسقاط حكومات ديمقراطية كحكومتي مهدي مصدق في إيران (1953) وسلفادور الليندي في تشيلي

(1) الجزيرة نت، 2023/11/5. https://www.aljazeera.net/news/2023/11/5

(2) الجزيرة نت، 2023/12/9. https://www.aljazeera.net/videos/2023/12/9

(1973).[1] ومرة أخرى تدعي انها تدعم 'إسرائيل' بسبب ما لاقاه اليهود من اضطهاد على يد النظام النازي الألماني، وتنسى أن الصهاينة قتلوا وشردوا مئات الآلاف من الفلسطينيين. ومرة ثالثة تتحجج بان 'إسرائيل' 'المحبة للسلام' محاطة بأعداء عرب ومسلمين 'محبين للحرب والقتال'، وتنسى أن 'إسرائيل' هي التي شنت الحروب على فلسطين ومصر وسوريا ولبنان والأردن واحتلت أراض تفوق مساحتها مساحة الكيان الذي مُنح لليهود من قبل الأمم المتحدة، في عام 1947 بخمس مرات. ويرى ميرشايمر ووالت ان السبب الرئيس وراء هذا الدعم الأمريكي المطلق لـ 'إسرائيل' هو قوة نفوذ اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة (Mearshiemer & Walt, 2006: 35-39). وهذا النفوذ القوي جعل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين ناتنياهو يقول: " أنا أعرف ما هي أمريكا. أمريكا شيء يمكنك تحريكه بسهولة شديدة، وتحريكه في الاتجاه الصحيح." [2] وهذه الحقيقة تؤكد بما لا يقبل الشك أن الأمريكيين سيقفوا مع 'إسرائيل' بشكل مطلق في حال اصطدمت مع العراق أو أي بلد آخر في العالم. وهذا ما اثبتته الحرب على غزة أيضا. فعند زيارته لـ 'إسرائيل' بعد هجوم حركة حماس، قال وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بانه جاء بصفته يهوديا وليس أمريكيا.[3]

وبالإضافة الى أسلحتها الفتاكة المتطورة، لدى الولايات المتحدة أسلحة أخرى تستطيع استخدامها ضد العراق إذا ما اختار المواجهة العسكرية معها أو مع 'إسرائيل'. فبإمكانها، على سبيل المثال، أن تُعلن حربا مالية ضد العراق بتجميد ودائعه في البنك الاحتياطي الفدرالي والتي تبلغ عشرات المليارات من الدولارات. وقد سبق للولايات المتحدة ان استخدمت العقوبات المالية وسيلة لتحقيق مآرب سياسية في علاقاتها مع دول ترفض الانصياع لسياساتها. ففي عام 1980 قامت الولايات المتحدة بتجميد ودائع إيرانية مقدارها 12 مليار دولار بسبب قيام مجموعة من الطلاب الإيرانيين بالهجوم على السفارة الامريكية في إيران واحتجاز أكثر من خمسين رهينة بتهمة التجسس.[4] وجمدت كوريا الجنوبية، امتثالا للعقوبات الامريكية المفروضة على إيران، ستة مليارات دولار كان عليها دفعها لإيران مقابل منتجات نفطية استوردتها، ولم تفرج عنها الا بوساطة قطرية بعد ان ساءت العلاقات بين البلدين.[5] وجمدت ارصدة إيرانية أخرى بمقدار 6 مليارات دولار في عام 2023 واستخدمتها وسيلة ضغط على الحكومة الإيرانية للاتفاق على عملية تبادل سجناء من الطرفين.[6] واستخدمت الولايات المتحدة هذه الوسيلة حتى مع روسيا. فقد أعلنت إدارة الرئيس بايدن انها ستجمد اصولا روسية تبلغ أكثر من 330 مليار دولار وتنفق عائداتها من الفوائد على إعادة بناء أوكرانيا.[7] ومما لا شك فيه ان اتخاذ الولايات المتحدة لإجراءات كهذه بحق العراق ستكون لها عواقب وخيمة على الاقتصاد العراقي، وقد سبق لحكومة السيد السوداني ان عانت من هذه المشكلة الكبيرة في الأسابيع الأولى التي مضت على تشكيلها حين قامت الولايات المتحدة بفرض قيود مشددة على تعامل المصارف العراقية بالدولار الأمريكي، مما أدى الى ارتفاع قياسي في سعر صرف الدولار مقابل الدينار العراقي ومن ثم ارتفاع كبير في أسعار السلع والخدمات. وجدير بالذكر أن أموال العراق المتأتية من بيع النفط والتي تشكل أكثر من 90% من واردات العراق من العملة

---

(1) شبكة فلسطين للحوار، 2004/11/8. https://paldf.net/f/node/20315

(2) الجزيرة نت. 2010/7/18.

https://www.aljazeera.com/news/2010/7/18/netanyahu-us-easily-manipulated?utm_source=pocket_saves

(3) RT Arabic, 12/10/2023. https://arabic.rt.com/world/

(4) Ibid. 20/1/2023. https://arabic.rt.com/world/

(5) The Washington Institute for Near East Policy, 18/9/2023. https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/sfqt-alrhayn-alayranyt-twdyh-alwaml-alty-adt-aly-thwyl-6-mlyarat-dwlar

(6) BBC News, 17/9/2023. https://www.bbc.com/arabic/articles/cnkgn3z7xl5o

(7) RT Arabic, 24/1/2024. https://arabic.rt.com/world/

الصعبة يتم ايداعها في البنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي بحجة حمايتها من مطالب التعويض التي قدمتها بعض الدول المتضررة من سياسات النظام السابق الذي حكم العراق قبل عام 2003.[1]

وبإمكان الولايات المتحدة أيضا أن تستخدم ورقة 'داعش' لإجبار العراق على قبول خياراتها السياسية في المنطقة وقد لوحت بذلك فعلا.[2] فكثيرا ما يشير الامريكيون واصدقائهم الى أن انسحابهم من العراق قد يؤدي الى ما أدى اليه انسحابهم في عام 2011 إذ مهّد ذلك الانسحاب الى غزو تنظيم داعش الإرهابي لشمال العراق وإعلان دولته على أكثر من ثلث مساحة العراق. وليس من المستبعد ان تغض الولايات المتحدة الطرف عن قيام (داعش) بعمليات إرهابية في العراق إذا ما وجدت القوات الامريكية نفسها مُرغمة على الرحيل. فبرغم حربها على الإرهاب في كل مكان، تعاونت الولايات المتحدة بشكل وبآخر مع منظمات إرهابية لتحقيق اهداف وقتية محددة. فقد تعاونت مع تنظيم 'القاعدة' لقتال الاتحاد السوفيتي وهزيمته في أفغانستان، وتكاسلت في الرد السريع على غزو (داعش) للعراق (Tisdall, 2014)، وتعاونت مع 'جبهة النصرة' ومجاميع إرهابية أخرى لقتال نظام بشار الأسد في سوريا(Chengu, 2014)، وسحبت قواتها من أفغانستان تاركة حليفها الرئيس أشرف غني وجيشه فريسة لعصابات طالبان التي أسقطته في غضون أيام قليلة.[3]

وبذا يمكن الاستنتاج ان الولايات المتحدة الامريكية حليف لا يؤتمن، فهي على استعداد تام لإدارة ظهرها لحلفائها في أية لحظة تشعر فيها بأن مصالحها مع هذا الحليف قد انتهت. ولا شك انها ستشكل تهديدا أمنيا كبيرا للعراق في حال حاولت حكومته ان تكون ندا لسياساتها في المنطقة لا سيما تلك السياسات الداعمة لـ 'إسرائيل'.

3.2 روسيا الاتحادية

كان العراق يتمتع بعلاقات قوية مع الاتحاد السوفيتي، ووقع معه اتفاقية للصداقة والتعاون في عام 1972. واثمرت تلك الاتفاقية عن قيام السوفييت بتسليح الجيش العراقي بأسلحة حديثة ومتطورة، بالإضافة الى إسهامهم في تطوير البنى التحتية العراقية. الاّ أن الاتحاد السوفيتي لم يقف بجانب العراق في حربه ضد التحالف الدولي الذي أرغمه على الانسحاب من الكويت في عام 1991. ويبرر السوفييت موقفهم ذاك بان القيادة العراقية لم تستشرهم قبل اجتياح الكويت.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام 1991 وقيام 15 دولة مستقلة على انقاضه، ورثت جمهورية روسيا الاتحادية ترسانته النووية العملاقة وعضويته الدائمة في مجلس الأمن لكونها الدولة الأكبر والاقوى من بين الدول الجديدة. وبسبب أزمات ومشاكل داخلية كثيرة لم تستطع روسيا مجاراة الولايات المتحدة على الصعيد الدولي كما كان يفعل الاتحاد السوفيتي فانشغلت بترتيب بيتها الداخلي تاركة قيادة النظام العالمي للأمريكيين وعلى مدى عقدين من الزمان. بعدها عادت روسيا بقيادة الرئيس فلاديمير بوتين الى فرض نفسها كقوة عظمى وإن لم تكن بمستوى منافس للولايات المتحدة.

وبرز الثقل الروسي في الشرق الأوسط لأول مرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الاهلية السورية. ففي عام 2015 قامت روسيا بإرسال قوات عسكرية الى سوريا لدعم نظام الرئيس بشار الأسد وتوجيه ضربات قوية لمعارضيه من قوى إسلامية متطرفة وأخرى علمانية موالية للغرب وبشكل خاص الولايات المتحدة. ولم تمض سوى بضع سنوات حتى تمكنت روسيا من ترجيح كفة النظام السوري بشكل حاسم وواضح.

ووقفت روسيا كذلك مع العراق في حربه ضد تنظيم (داعش) الإرهابي عند اجتياحه لشمال العراق في عام 2014، وكانت من أولى الدول التي سارعت الى تقديم معونات عسكرية عاجلة للجيش العراقي في الوقت الذي تباطأت فيه الولايات المتحدة وماطلت في مد يد المساعدة رغم الاتفاقية الاستراتيجية التي تربط البلدين وتنص على وجوب تقديم المساعدة العسكرية في حالات كهذه (المفرجي، 2021: 36). ثم قامت روسيا بتأسيس وقيادة تحالف استخباراتي أمني ضم الى جانبها كل من إيران وسوريا والعراق واتخذ له مقرين في بغداد ودمشق. وعمل هذا التحالف على قطع خطوط الاتصال والتموين بين (داعش) العراق و (داعش) سوريا مما أسهم بشكل فعّال في إضعاف القدرات العسكرية للتنظيم. وفي نيسان من عام 2020، عرضت روسيا على العراق قيامها بتزويده بمنظومة صواريخ S-400 الدفاعية (Mahmoudian 2021). وقد أكد وزير الدفاع العراقي الأسبق خالد العبيدي أن الأسلحة الروسية التي يستخدمها الجيش العراقي في حربه ضد (داعش) أفضل بكثير من الأسلحة الامريكية. والأهم من هذا كله هو تأكيد وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف على أن بلاده مستعدة لتزويد العراق بالأسلحة الحديثة دون فرض أية شروط سياسية على عكس ما يفعل موردي الأسلحة الآخرين (Nussaibah and Taylor 2015).

---

(1) BBC Arabic, 8/2/2024. https://www.bbc.com/arabic/articles/cqed5jym46no

(2) قناة الحرة، 2024/1/4. https://www.alhurra.com/iraq/2024/01/05

(3) The Independent, 15/8/2021. https://www.independent.co.uk/voices/editorials/afghanistan-taliban-uk-boris-johnson-b1902937.html

وعند بدء العدوان الإسرائيلي على غزة، اتخذت روسيا موقفا مشابها للموقف العراقي الرسمي في مساندته للفلسطينيين والتضامن معهم. وتمثلت تلك المساندة بعدة مشروعات قوانين لوقف العدوان الإسرائيلي تقدمت بها روسيا لمجلس الأمن الدولي. وفي الوقت نفسه استخدمت روسيا حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار أمريكي يشير الى حق 'إسرائيل' في الدفاع عن نفسها(Glantz 2023). وفيما يتعلق بالعراق، أدانت روسيا الهجمات الامريكية على الأراضي العراقية انتقاما لمقتل ثلاثة من جنودها في قاعدة أمريكية شمال الاردن. ففي الخامس من شباط 2024، دعت روسيا إلى اجتماع لمجلس الأمن الدولي، ووجه السفير الروسي لدى الأمم المتحدة اتهاما الى الولايات المتحدة بانتهاك القانون الدولي بضرب العراق وسوريا.[1]

وبناءً على ما تقدم يمكن الاستنتاج بان السياسة الروسية في المنطقة تصب في صالح العراق وأمنه القومي. فهي على عكس الولايات المتحدة، التي تضع أمن 'إسرائيل' فوق كل اعتبار، بما في ذلك القوانين والأعراف الدولية، تسعى الى إقامة شراكات تخدم مصالحها ومصالح شركائها على حد سواء. ولكن هذا لا يعني ان على العراق التوجه نحو المحور الروسي على حساب المحور الأمريكي. فمهما حسنت نيات الروس وساءت نيات الأمريكيين ليس في صالح العراق الدخول في حرب إقليمية وهو ما يزال يضمد جراحات الحروب العبثية السابقة التي خاضها.

الخلاصة (Conclusion)

أدت الحروب الكثيرة التي خاضها العراق، والعقوبات الاقتصادية الشديدة التي فُرضت عليه الى إضعافه بشكل جعل أمنه القومي مهددا بشكل جدي. وبعد اجتياحه من قبل قوات تحالف دولي تقوده الولايات المتحدة في عام 2003، لم يكن أمامه خيار سوى الرضوخ لمشيئة المحتلين. وبعد ثمان سنوات من الاحتلال انسحبت معظم القوات الامريكية من العراق على إثر اتفاقية أمنية استراتيجية نصت في أحد بنودها على التزام الأمريكيين بالدفاع عن أرض العراق في حال تعرضه لعدوان خارجي. ولكن تلك الاتفاقية لم تشفع للعراق حين تعرض لهجوم تنظيم ما يُعرف بالدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) في عام 2014. فقد سقطت ثلاث محافظات عراقية أو ما يعادل أكثر من ثلث مساحة العراق بيد داعش ولم تتحرك الولايات المتحدة على نحو يضاهي حجم الكارثة، بل هرعت دول أخرى (كروسيا وإيران) لمساعدة العراق دون أن تربطها به معاهدات كتلك التي ربطته بالأمريكيين. وعلى الرغم من تشكيل تحالف دولي جديد، بقيادة الولايات المتحدة، لتحرير الأراضي العراقية التي احتلها (داعش)، لم يعُد الفضل في هزيمة ذلك التنظيم الإرهابي لقوات التحالف بقدر ما يعود للجيش العراقي والحشد الشعبي الذي تشكل بناءً على فتوى الجهاد الكفائي التي أصدرها السيد السيستاني.

وفي مطلع عام 2020 قامت القوات الامريكية المتواجدة على أرض العراق باغتيال الجنرال قاسم سليماني وابي مهدي المهندس بضربة جوية قرب مطار بغداد الدولي. وردا على هذا الانتهاك الكبير للسيادة العراقية تبنى مجلس النواب العراقي قرارا بإخراج كل القوات الأجنبية من العراق. ولم تلتزم الولايات المتحدة بذلك القرار مما تسبب في هجمات شنتها بعض الفصائل العراقية المسلحة ضد أهداف امريكية. وبعد نجاح قوى 'الإطار التنسيقي' في تشكيل حكومة جديدة توقفت هجمات الفصائل المسلحة التي ينتمي معظمها لقوى الإطار من أجل منح فرصة للحكومة الجديدة لتنفيذ قرار مجلس النواب بشكل سلمي.

وبقيام العدوان الإسرائيلي على غزة والانحياز الأمريكي المطلق الى جانب 'إسرائيل' أعلنت الفصائل العراقية المسلحة وقوفها الى جانب الشعب الفلسطيني الذي تعرض وما يزال لإبادة جماعية صهيونية. وبذلك انتهت الهدنة وأصبح العراق واحدة من ساحات المقاومة الى جانب ساحات فلسطين ولبنان واليمن لتنطلق منها الصواريخ باتجاه أهداف امريكية. كما واستهدفت الفصائل العراقية كذلك كل ما تصل اليه صواريخها وطائراتها المسيّرة من أهداف إسرائيلية. ومع الأخذ بنظر الاعتبار رجحان موازين القوى العسكرية بين العراق من جهة والولايات المتحدة و 'إسرائيل' من جهة أخرى لصالح الأخيرتين يكون الأمن القومي العراقي مهددا بشكل جدي لا سيما في حال تطور حرب غزة الى حرب إقليمية مفتوحة الجبهات أو الساحات. ورغم وقوف إيران الى جانب المقاومة الفلسطينية بشكل كامل، ووجود تعاطف روسي صيني كبير معها، ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بدخول تلك الأطراف، أو أحدها، في مواجهة عسكرية مفتوحة مع الولايات المتحدة أو 'إسرائيل'. فروسيا منشغلة بحربها مع أوكرانيا، والصين تخشى على مصالحها الحيوية في المنطقة، وإيران تسعى بكل السبل الى تجنب المواجهة بسبب اختلال موازين القوى العسكرية بينها وبين اعدائها. لذا يكون من الأفضل للعراق ان يتجنب المواجهة العسكرية بكل ما يستطيع من السبل.

---

(1) Al-Jazeera.net, 3/2/2024. https://www.aljazeera.com/news/2024/2/3/overshadow-gaza-crimes-world-reacts-to-us-attacks-on-iraq-and-syria

التوصيات (Recommendations)

أمام هذه التحديات المصيرية التي يواجهها العراق في هذا الوضع البالغ التعقيد في المنطقة باسرها، وفي هذه المرحلة من مسيرته يجدر بمجلس نوابه وبحكومته العمل على اتباع سياسة داخلية وخارجية تتمثل بالآتي:

التنسيق الكامل بين مواقف الحكومة الاتحادية ومواقف الفصائل الوطنية المسلحة فيما يتعلق بالعدوان الصهيوني على غزة.

تحقيق اجماع وطني يضم كل مكونات المجتمع العراقي بهدف تنفيذ قرار مجلس النواب العراقي القاضي بإخراج القوات الأجنبية من أرض العراق.

تعزيز العلاقات مع الدول العظمى التي وقفت مع العراق ومع الشعب الفلسطيني كروسيا والصين، والاستعانة بهما فيما يرفع من قدرات العراق العسكرية والاقتصادية.

الابتعاد عن سياسة التمحور الإقليمي، وجعل مصالح العراق الوطنية فوق كل مصلحة.

اللجوء الى المنظمات الدولية، وبشكل خاص مجلس الأمن الدولي، عند أي خرق لسيادة العراق ومن أي طرف كان.

المراجع العربية

آية الله محمد حسين كاشف الغطاء. 1969. قضية فلسطين الكبرى. النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

جوين منصور، و فادي نحاس. 2009. المؤسسة العسكرية في اسرائيل: تاريخ، واقع، استرتتيجيات، وتحولات. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية.

فاطمة المفرجي. 2021. "تطور العلاقات الروسية-العراقية للمدة (2011-2019)." مجلة العلوم السياسية (كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد) 62: 234-250.

References

.1 Bealey, Frank. 1999. Dictionary of Political Science. Massachusetts: Blackwell Publishers.

.2 Buzan, Barry. 1991. People, States and Fear: An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War's Era. London: Harvester Press Group.

.3 Buzan, Barry, and Ole Weaver. 2003. Regions and Powers: The Structure of International Security. Cambridge: Cambridge University Press.

.4 Buzan, Barry, Ole Weaver, and Wilde de Jaap. 1998. Secyrity: A New Framework of Analysis. London: Lynne Reinner Publishers.

.5 Chengu, Garikai. 2014. "America Created al-Qaeda and the ISIS Terror Group." Global Reseach. http://www.globalresearch.ca/america-created-al-qaeda-and-the-isis-terror-group/5402881.

.6 Glantz, Mary. 2023. How Does the Israel-Hamas War Impact Russia and Ukraine? Washington: United States Institute of Peace.

.7 Hoffman, Bruce. 1998. Inside Terrorism. UK: Victor Gollancz.

.8 Lijphart, Arend. 1977. Democracy in Plural Societies: A Comparative Exploration. New Haven: Yala University Press.

.9 Mahmoudian, Arman. 2021. Russia and Iran’s Relations in Iraq. LSE Middle East Centre. https://blogs.lse.ac.uk/mec/2021/07/02/russia-and-irans-relations-in-iraq./

.10 Mearshiemer, John, and Stephen Walt. 2006. "The Israeli Lobby and U. S. Foreign Policy." Middle East Policy 13 (3): 29-87.

.11 Nussaibah, Younis, and Andrea Taylor. 2015. "Putin's Next Conquest: Why Iraq Wants Russian Help." Foreign Affairs. https://www.foreignaffairs.com/articles/syria/2015-10-07/putins-next-conquest.

.12 Tisdall, Simon. 2014. "Security Collapse in Iraqi City of Mosul is not Solely Maliki's Responsibility." The Guardian .

.13 Walt, Stephen. 1987. The Origins of Alliances. London: Cornell University Press.

.14 Waltz, Kenneth. 1979. Theory of International Politics. CA: Addison-Wesley Publishing.

سجا